كتاب العدد

حامد عمار في مواجهة العولمة

عولمة الإصلاح التربوي
بين الوعود والإنجاز والمستقبل

تأليف: أ. د. حامد عمار

الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2010

(373) صفحة من القطع الكبير

قراءة نقدية لـ: أ. د. علي أسعد وطفة

قسم أصول التربية، كلية التربية – جامعة الكويت

«تنقدح الحقيقة في مواجهة صعبة بين الإنسان والأشياء من حيث هي مواجهة تُكْرِهُنا على التأمل والتفكير وتَحُثُنا على استجواب الحقيقة».

جيل دولوز (Gilles Deleuze)

تجد الأنساق التربوية العربية المعاصرة نفسها اليوم في مواجهة تموجات قصف تكنولوجي رأسمالي أضرمته عولمة فائقة التوحش، حيث تواجه اليوم – وبفعل التقدم المفرط للتكنولوجيا وقيم العولمة الجديدة – منظومة من التحديات الكبيرة التي تهدد دورها ووظيفتها وبناها التقليدية كمؤسسة منتجة للقيم والمعاني والدلالات الإنسانية الأصيلة في الإنسان. فالمدرسة اليوم تواجه مدّ العولمة الاقتصادية المدججة بأعظم الاختراعات التكنولوجية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحضارة الإنسانية، وهذه العولمة الزاحفة – وبتأثير هذه الترسانة الهائلة من الطفرات التكنولوجية – تفعل فعلها في إحداث تغيرات عميقة وشاملة وهائلة في بنية النظام التربوي كما هو الحال في مختلف القطاعات الاجتماعية الأخرى.

فالمدرسة تتعرض الآن لعملية تسويق Commercialisation تصهر عناصر وجودها وتحولها إلى مؤسسة ثقافية جديدة تقوم بمختلف أركانها على أساس الصورة الرأسمالية لمؤسسات ربحية ديدنها الاستهلاك والعرض والطلب والاستثمار والتسويق. وفي ظل هذه العملية الرأسمالية فإن المدرسة دخلت السوق الاقتصادية من أبوابها الواسعة، وشكلت قطاعاً خاماً تتهافت عليه المشاريع الاقتصادية الربحية لتحولها إلى مؤسسة ربحية بامتياز. وهي في دائرة هذا الاجتياح تفقد في حقيقة الأمر وظيفتها الإنسانية ودورها الحضاري كمؤسسة منتجة للمعرفة والقيم والعقول.

وهنـاك اليـوم مـن يعتقد بـأن ما يحـدث في المدرسـة من تحولات سـوقية (نسـبة إلى السـوق) يأتي امتداداً للتايلورية Taylorisme (نسبة إلى المفكر الاقتصادي تايلور) التي سـجلت حضورها في بداية القرن الماضي، ولكن ما يحـدث اليوم يتجاوز حدود التصورات التايلوريـة، لأن التغيرات التربوية اليوم تحدث على شـكل طفـرات تقصم البنية التربوية للمجتمـع، وتؤدي إلى حالـة من التصدعات الثقافية، التي تفوق ما يمكن تصوره في شـأن المصير القادم للحياة التربوية، تحت تأثير التحولات الهائلة في عالم الصناعة والتكنولوجيا والمال والطفرات الاقتصادية، لعولمة تتحرك بتيارات هائلة التدافع كسـمة عامة من سـمات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

وإذا أردنا التحديد الموضعي بصورة أكثر وضوحاً يمكن القول بأن الإشـكالية المعاصرة للتربية تتمثل اليوم في هيمنة معايير السوق الاقتصادية التي تفرض وجودها على مختلف جوانب الحياة، وأن المدرسـة تعاني من زحف تسـويقي يحولها إلى صورة سوق رأسمالية بكل الصيغ والدلالات التي ترتسم واضحة في معترك السوق الرأسمالي بفعالياته المتواترة. إنها تتحول تدريجياً إلى سـوق استهلاكي يعتمد مبدأ العرض والطلب والربح والاستثمار، **وهي في دائرة هذا التحول تفقد جوهرها وقيمها ودورها الإنساني الحضاري كمؤسسة منتجة للقيم والضمائر والنفوس والعقول.**

حامد عمار يتصدى للعولمة التربوية:

لم يسـتطع المفكرون التربويـون العرب الوقوف على جمار الصمـت إزاء هذه التحولات السـاحقة التي فرضتهـا العولمة في مجال التربية، فنفروا لمواجهة هذا التحدي واسـتنفروا لمواجهـة هـذا الخطر الداهـم، ودقوا لـه ناقوس الخطـر في مواجهـة عولمة رهيبة شـديدة التوحـش. ومن بين النخـب الفكرية العربية التي تصـدت فكرياً للعولمـة يتألق نجم المفكر التربوي العربية الكبير حامد عمار بوصفه أكثر المفكرين العرب حماسة للدفاع عن التربية والتعليم إزاء تحديات العولمة ومصائبها، واستطاع عمار في نضاله هذا أن يوظف عبقريته التربوية في إبداع أكثر الأعمال الفكرية نقداً للعولمة وصوناً للتربية، إيماناً منه بأن التربية هي المعقل الأخير للحضارة الإنسانية المتدفقة بالعطاء.

ومن يتابع الأعمال الكثيرة الكبيرة لحامد عمار سيجد بأن هذا الرجل الشامخ كان ومازال حاضراً في الشـأن التربـوي وهو الذي كرس جانباً كبيراً من حياتـه للدفاع عن التربية في مصـر والعالم العربـي ضد المخاطر الكبرى التـي تهدد وجودها في عالـم المعرفة والعولمة والميديا والانسحاق الإنساني أمام عجلات العولمة المادية الجارفة.

وعندمـا يتحـدث المرء اليوم عن حامد عمار بقامته الشـامخة لا بد له أن يقف في محرابه مأخـوذاً بما ينطوي عليه شـخصه الكـريم من تدفق أخلاقـي صُقل إيماناً برسـالة التربية ودورها في بناء الإنسـان وتشـكيله في معترك الإيمان بالحضارة والقيم الإنسانية العليا. ولا غرابة أبداً في أن يلقب عمار منذ كان في عمر الشباب بـ«شيخ التربويين العرب» تقديراً لـه على ما قدمه من عطاءات فكريـة كبيرة في مصر والعالم العربي، وليس من العجب أبداً أن يأخذ هذا الرجل صورته عنواناً للفكر التربوي العربي بطابعه الإنساني والأخلاقي، وأن يتحول إلى منارة تتوهج في عقول المفكرين التربويين العرب جمالاً وأنسـنةً وعطاءً متدفقاً

بكل المعاني الإنسانية النبيلة.

في شخص حامد عمار تتعانق المفارقات الجميلة، وفي تكوينه الإنساني تتضافر التناقضات النبيلة، ففي شخصية يقع التوحّد بين الأضداد الكريمة، فهو في مملكة الزمن شيخ المفكرين، وفي ميدان العمل سيد المبدعين المنتجين، وفي مملكة الفكر النقدي أمير النقاد، إنه شيخوخة تعتمر الشباب، وشباب يرتدي حكمة الشيخوخة، يفيض حكمة ويتدفق بالتواضع الإنساني، يعمل حتى يتعب العمل، ويبدع حتى في الزمن الذي يتوقف فيه حركة الإبداع، ويتابع قضايا أمته التربوية دون كلل أو ملل حتى غدا بامتياز رمزاً من رموز الفكر التربوي النقدي الحر الأصيل في مصر والعالم العربي على حدّ سواء.

هو حامد عمار الشيخ الذي يمتطي صهوة الشباب، المارد الذي يرتد في الزمن فيزداد تألقاً وشباباً. ولد شيخاً حكيماً ويموت شاباً متدفقاً بالحياة، هذا هو حامد عمار، شيخوخة ترتدي حلة الشباب؛ إذ كان في كل مراحل عطائه متدفقاً بحكمة الشيوخ، مأخوذاً بعنفوان الشباب، ومن يعرف حامد عمار سيراه حاضراً في المؤتمرات والندوات الفعاليات الفكرية في كل مكان، يحضر كل الجلسات، يغشى الندوات، فتراه متدفقاً بالحيوية والعطاء، يناقش الكبير والصغير، يهتم بأعظم الأمور وبأكثرها بساطة، فيفيض على الحضور من محبيه ومريديه بالأمل والابتسامة، فيغدق عليهم بغمر المعاني والدلالات، وفي التواضع له شأن! ومن يريد أن يعرف معنى التواضع الخلاق الذي يعانق الشموخ والإحساس العظيم بالكرامة يجب عليه أن يأتي إلى شيخنا الكبير عمار ليراه شامخاً أمام العمالقة والجبابرة حتى لتحسبنّه أكثرهم شموخاً وجبروتاً وعزّة، وتراه بين طلابه ومريديه وزملائه وكأن التواضع والمحبة قد تجسدتا في الرجل، ولو كان التواضع رجلاً لانحنى أمام حامد عمار بخشوع ووقار واحترام، وكيف لا يكون ذلك وهو يرتدي حلة التواضع ويتدثر بمعانيه. وفيه يمتثل قول الشاعر:

تعلَّمَ بسط الكَفِّ حتى لو أنه طواها لقبض لم تطعه أنامله

تــراه إذا مــا جئته متهــللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وفيما يتعلق بالإنتاج العلمي والمعرفي فحدث ولا حرج، فهو حاضر في مصر بطولها وعرضها، مشرق في كل مكان في العالم العربي، ومتألق في مختلف أقطاره، فهو هنا وهناك في الآن الواحد، يتدفق معرفه ويومض علماً، ويتوهج بفلسفته التربوية التي تتميز بطابع العمق والشمول.

وعندما تريد الحديث عن الشأن العام التربوي والسياسي في مصر فحدث عن حامد عمار بقامته الكبيرة التي فرضت نفسها في مختلف مستويات الحضور النقدي والغيرة الوطنية القومية على التعليم والتربية في مصر وفي العالم العربي. إنه حامد عمار الذي لم يترك مشروعاً تربوياً أو قراراً يتعلق بالتعليم أو سياسة ما لم يقرأها ويفندها وينقدها ويبدي رأياً فكرياً فيها مهما تضخمت مجلدات هذه السياسات وتدافعت تعقيداتها، فعمار حاضر دائماً بعقله، ويقظ بقلبه، وهو دائم الاستعداد للنظر في كل الملفات رصداً لمضامينها وتوغلاً في معانيها.

أخذ من الشيخوخة حكمتها، ومن الشباب تدفقه، ومن المعرفة نكهتها، ومن التواضع زبدته، ومن الإيمان قيمته العليا، آمن بالحرية إيمان العارفين، وشُغِفَ بالعدالة شغف الزاهدين، فاتخذ من الفكر النقدي منهجاً في التأمل والتفكير والنظر، آمن بالله والحرية والإنسان، وجمع بين هذه الخصائص والسمات ليشكل منها جميعها لوحة إنسانية فريدة بجمالها وسحرها وأنسها وتدفقها بكل المعاني الإنسانية الجميلة.

عولمة الإصلاح التربوي بين الوعود والإنجاز:

في كتابه الرائع الموسوم : (عولمة الإصلاح التربوي بين الوعود والإنجاز والمستقبل) يرسم عمار جغرافيا الصراع بين مقتضيات العولمة ومطالب التربية في مصر والعالم العربي، ويقف بالمرصاد الفكري لكل المخاطر التي تشكلها العولمة على الأنساق التربوية والأخلاقية والإنسانية.

يقع كتاب حامد عمار في 373 صفحة من القطع الكبير، وهو من إصدارات الدار المصرية اللبنانية 2010، وفي هذه الصفحات العريضة يستعرض عمار خلاصة تجربته التربوية في مجال الفكر التربوي الناقد للعولمة وتداعياتها ومخاطرها وجنونها وتوحشها. ولا ريب أن عماراً يجمع في هذا الكتاب خلاصة حكمته التربوية التي امتدت في الزمن على مدى النصف الثاني من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أي: على امتداد ستة عقود مفعمة بالعمل والفكر والعطاء والنشاط.

يتضمن الكتاب تسعة أقسام رئيسة، يتضمن كل قسم منها نسقاً من المقالات والموضوعات التي تتصل بالإصلاح التربوي في مصر وفي العالم العربي في سياق التحديات الكبرى التي يفرضها التطور الهائل لمجتمع العولمة والميديا والاتصال.

ومن يتأمل في هذا الكتاب سيجده لوحة فنية نقدية تجتمع فيها أنساق الهموم وتفاعلات الواقع التربوي العربي في معترك التحولات الطاغية للعولمة والمال والقوة والشهوة والتآمر على القيم الإنسانية الكبرى.

لم يغفل عمار في هذا الكتاب أي قضية تتعلق بأوضاع التربوية وهمومها وتحدياتها ومشكلاتها في مصر والعالم العربي على حد سواء. وهو في كل خطوة من خطوات المنهج الذي اعتمده في تناول هذه القضية يحدد معالم المشكلات التربوية ويرسم حدودها وأبعادها وتجلياتها، ومن ثم ينتقل ليحدد الآثار السلبية المدمرة لكل قضية من القضايا الحيوية للتفاعلات التربوية في مختلف المستويات وفي معظم الاتجاهات. وفي دائرة التبصر والتحليل الحكيم العميق للقضايا التربوية يطلق عمار التنبيهات والتحذيرات ويقرع نواقيس الخطر. وهو لا يكتفي بذلك، بل يحدد السبل والوسائل والحلول الذكية التي يمكن أن تعتمد في مواجهة هذه المشكلات وتلك التحديات التي تفرضها الإصلاحات التربوية في خضم التحولات الكبيرة للعولمة.

في هذا الكتاب نجد حامد عمار يقظاً لكل ما يجري على الساحة التربوية في مصر وفي العالم العربي، يتابع كل الأحداث الجارية في هذا الميدان، يراقب ويرصد وينتظر ويتأمل، ويأخذ مكانه كالحارس الأمين اليقظ على قضايا التربية وهمومها، فما أن يصدر قرار تربوي

حتى يكون له بالمرصاد، وما أن يحدث أمر في مجال التربية في مصر أو العالم العربي حتى يطل علينا برؤيته النقدية ليحدد لنا المخاطر الكبرى لكل إصلاح أو قرار تربوي يتخذ في خضم هذه التحولات.

وفي مواقفه النقدية، يستخدم عمار أجمل الوسائل الفكرية والفنون التربوية، ويعتمد كل المنهجيات الناقدة، فيتجلى أسلوبه الرائع في فن التهكم التربوي، متألقاً في التوظيف الرمزي، مبدعاً في التلميح والتورية، خبيراً بفن الإقحام والتصريح إذا اقتضى الأمر نقداً صارماً حيّاً لكل ما من شأنه أن يعرض التربية والأجيال والإنسان للخطر. وهو لا يتورع في مختلف المواقف عن مهاجمة القرارات التربوية الخاطئة التي يمكنها أن تدمر القيم والأخلاق والمعاني الإنسانية في مصر أو في أي موطن عربي.

في كتابه هذا يرتسم حامد عمار بوصفه الإنسان المصري البسيط الذي ينتمي بتكوينه الطبقي إلى شرائح الفقراء والفلاحين في مصر، فهو ما زال يحمل في قلبه وروحه هموم الإنسان الريفي المصري الأصيل، حيث ولد ونشأ في سلوا القرية المصرية الصعيدية الهادئة، التي قامت حامد عمار ابنها البار هدية للتربية والمعرفة في مصر العظيمة. وفي هذا المضمار يبدي عمار حرصه على التربية بوصفها حقلاً لإنتاج الحياة في مصر، وكأنها حقل من حقول قريته الرائعة الوادعة في هذا الصعيد الذي أكرم مصر بعظماء وعلماء ومفكرين كثر. وكما هي علاقة الفلاح بالأرض يروي عمار التربية في مصر بعرقه، وهو لا يتورع أن يفديها بأغلى ما لديه إذا اقتضى الأمر. فالتربية حقل من العطاء المقدس، وعمار فيها يحيا ويراقب أحوال الشجر وأوضاع الثمر بلهفة الفلاح وخوفه الذي يشتد على الأرض والعرض، مبدياً خوفه على الأجيال وقلقه على مستقبل مصر والعالم العربي سواء بسواء.

في ملامح الكتاب وملاحمه:

يبدع حامد عمار في كتابه هذا فناً نقدياً جميلاً مزجه بأسلوبه الأدبي الرائع في تناول القضايا التربوية إلى درجة لا يستطيع فيها القارئ أن يغادر الكتاب، وأن يترك صفحاته الجميلة بما تفيض به من علم ومعرفة وذكاء وخبرة وحكمة يوظفها جميعها في استكشاف أبعاد الحياة التربوية وملابساتها في عصر مرعب ومخيف ومدمر.

في القسم الأول الذي عنونه الإطار المرجعي للعولمة يتناول عمار العولمة بما لها وما عليها، بسلبها وإيجابها، بجنونها ومجونها، وبكل ما تنطوي عليه من قوة دمار توظفها في إفناء القيم وتحويل الإنسان إلى حالة اغترابية يائسة متقلصاً إلى أبعاده النزوية المادية المدمرة فلم يبق فيه إلا ملامح شهوة للسلطة والمجد والمال والقوة والفسق والفجور.

فجوهر العولمة يتمثل تربوياً في أنساق متنوعة من الفعاليات المنظمة الساعية إلى بناء الإنسان على منوال القيم والمعايير التي تحكم اتجاهات الحياة ومطالب السوق الرأسمالية الجديدة. وقد فرضت على الأنساق التربوية العربية والعالمية تحديات مصيرية كبرى تفرضها تحولات حضارية مذهلة تفوق حدود الخيال في مجال التكنولوجيا والمعلوماتية والاتصال وأدت هذه **التحولات الحضارية الهائلة إلى تصدع مرعب في مختلف التكوينات التقليدية للوجود الإنساني**، وتحت تأثير هذا التصدع المتواتر تتعرض أغلب هذه التكوينات للانهيار والاختفاء من دائرة الوجود. فالتغيرات العاصفة تأخذ اليوم

صيرورة انفجارات تكنولوجية ومعرفية تتابع وتتعاقب وتتواتر في تموجات مرعبة، وهي في زخم حركتها هذه تؤدي إلى تفجير العالم التقليدي برمته وتحويله إلى أنقاض حضارية بائدة. وفي ظل هذه التموجات والتصدعات التي تفرضها عولمة متوحشة زاحفة بدأت الأنساق التربوية التقليدية تهتز بدورها وتتداعى وتتساقط، وبدأت تبحث لها عن تكوينات متجددة تسمح لها بالاستمرار في عالم يرتجف بالاهتزازات المدمرة.

فالتغير يجري في المجتمع والحياة المعاصرة على إيقاعات أسطورية، ومعالم الحياة تتحرك وتتغير بمقاييس مضيئة، وفي عمق هذه التحولات الخارقة تتشكل منظومات قيمية جديدة تستجيب لمتطلبات هذه المرحلة التي لا **يتوقف فيها جنون التغير والتحول.** ومن جديد، وفي دائرة هذه التصدعات الهمجية تولد أنساق تربوية جديدة على أنقاض هذه التي تتصدع، وهي ولادات عسيرة وصعبة، ولكنها تشكل أنظمة جديدة قادرة على التجاوب مع التحركات الخاطفة لقيم عولمية جديدة متجددة قائمة على معايير الاستهلاك والربح والشهوة والسلطة.

وفي ظل هذه التحولات الكبرى الجديدة يجد النظام التربوي نفسه في مواجهة خطرة مع الآثار الناجمة لهذه التحولات ذات الطابع الكوني. وقد تحتّم على التربويين أن يتحسسوا أهمية هذه التغيرات الكونية المذهلة التي تشهدها الحياة التربوية. لقد أدت المعلوماتية الجديدة وثورة التكنولوجيا الاتصالية إلى اهتزاز المركزية التربوية وسقوط النماذج التربوية التقليدية بصورة مروّعة. وفي ظل هذه التأثيرات التي تفرضها العولمة **يجري الاعتقاد بأن الأنظمة التربوية التقليدية قد تختفي كلياً على إيقاع هذه التحولات النوعية العميقة**، التي تشهدها المعرفة الإنسانية، وتلك التي تفرضها التقنيات التربوية والمعرفية الجديدة في مختلف الميادين.

وفي معترك هذه التحولات الكبرى يبدو **أن الأنظمة التربوية التقليدية عاجزة كلياً عن تقديم إجابات قديمة لتحديات جديدة.** فعولمة المعلومات والاتصالات ستؤدي إلى تقليص دور وفرص المؤسسات التعليمية وتضعها في موضع الخطر فيما يتعلق بأدائها التقليدي. وهذا يعني أنه يجب على الأنظمة التعليمية والتربوية المعاصرة أن تستنفر طاقاتها لتواجه تحديات معقدة تتعلق بوضع إنساني جديد ومرعب يقتضي ضرورة العمل على بناء منظومات فكرية جديدة قادرة على المواجهة والمناورة في مختلف الاتجاهات والميادين.

نحب الورد لكننا نحب القمح أكثر:

في القسم الثاني من الكتاب، يتناول عمار أوضاع التعليم ومشكلاته في ضوء تحديات العولمة. ويبين لنا في هذا المقام أن التعليم ليس حيادياً. ثم يركز على أساسيات الوجود الإنساني ممتثلاً بالقول المأثور: إننا نحب الورد لكننا نحب القمح أكثر، فالإصلاحات كما يراها تأخذ طابعاً شكلياً تحت شعار يطلقه بالقول: **إصلاحات إصلاحات لكنها قليلة البركات.**

ويبين عمار في هذا القسم أن عالم اليوم يعيش حالته المأساوية فاقداً لمرجعياته القيمية وموجهاته الأخلاقية، ويرى أن هذه الوضعية المأساوية تتكاثف وتشتد وطأتها

في الأنساق التربوية المعنية بإنتاج القيم وتوليد المرجعيات. فالتحديات التي تفرض نفسها على التربية والتعليم تتصف بدرجة عالية من الخطورة والأهمية في عصر العولمة والحداثة المتقدمة، وتبرز هذه التحديات في تدفق الصورة، والثورة المعلوماتية، والطفرات المتقدمة في مجال الإنتاج العلمي والتكنولوجي، والتحولات العميقة والشاملة في مختلف جوانب الحياة وتجلياتها، **وهي جميعها تشكل قصفاً ثقيلاً يهز أركان البنى والمؤسسات التربوية التقليدية التي يتوجب عليها أن تثوّر إمكانياتها** وتطور فعالياتها إلى الحدود القصوى لكي تتمكن من الحفاظ على دورها ووجودها ووظيفتها في المجتمع.

في ترسيخ التعليم على مبدأ الحق والعدالة:

في القسم الثالث يتناول عمار قضايا التعليم بين مفارقات الخطاب والواقع، ويشدد على هذا التفاوت الكبير بين الأغنياء والفقراء بين أصحاب المليارات الكثيرة وأصحاب الديهمات القليلة، كما يتناول قضايا جلد الذات والتنافس مع الذات. ثم يرسم لنا القول الفصل في التعليم الذي يرتبط بالتمويل بوصفه الطاقة الحيوية للنهوض بالتعليم في مصر والعالم العربي.

وفي القسم الرابع يتناول الكتاب قضايا الحق والعدالة في التعليم، ويشدد على قضايا تكافؤ الفرص التعليمية في مصر وفي العالم العرب. وينادي عمار في هذا السياق بالمدرسة الديمقراطية التي تكون للجميع بغض النظر عن مختلف التنوعات الاجتماعية والعرقية. وهو في هذا السياق يتصدى لإشكالية العولمة التي تضع ديمقراطية التعليم في موازين العرض والطلب والقوة والاصطفاء. ويطالب الدولة المصرية بأن تشكل قوة حقيقية لحماية مكتسبات الشعب التربوي بعيداً عن زحف العولمة وتغولها المرعب.

وضمن دائرة هذا التغول يشير عمار إلى مسألة اغتصاب مجانية التعليم، وهو أبسط حقوق الإنسان في المجتمع المصري. وينظر إلى هذا الاغتصاب بوصفه كارثة وصدمة يعبر عنها بأبيات شعرية شهيرة للشاعر حافظ إبراهيم أبدعها في رثاء سعد زغلول إذ يقول:

قالوا: دهت مصر دهياً: ويحكمو هل غُيِّض النيلُ أم هل زُلزِلَ الهرم
قالوا: أشد وأدهى. قلت ويحكمو إذن لقد مات سعد وانطوى العلم

وتلك هي مصيبة مصر أن يقضم حق أبناء الفقراء والمسحوقين في مجانية التعليم في عصر تغوّل فيه المال، وهيمنت فيه قوة السوق فلم يبق للإنسان بقية كرامة أو وجود.

ويأتي القسم الخامس يتناول الكاتب ديمقراطية التعليم بوصفها قاعدة للسلام الاجتماعي. وهنا وفي هذا القسم يتحدث عمار عن مجانية التعليم والعدالة التربوية الغائبة، ويكثف النداء من أجل التعليم المجاني بوصفه ضرورة حيوية وتاريخية لتقدم الإنسان والحضارة في مصر.

الفساد في التعليم الجامعي: نتجاوز المأساة ولا ننساها:

يفرد عمار القسم السادس من الكتاب لتناول قضايا التعليم الجامعي، ويركز على المفارقات والتناقضات التي تأخذ مكانها في مدار الحياة الجامعية في جمهورية مصر

العربية مصر. ويصف لنا الكاتب أوضاع الجامعات المصرية مقارنة بما يجري في الجامعات الغربية، فيشعر القارئ مع الكاتب بحجم المأساة وهول الواقع.

وفي هذا المسار يتناول عمار عدداً من المفارقات المذهلة القائمة بين الجامعات الخاصة والعامة فيما يتعلق بالإنفاق ودورة السوق، ثم يتعرض لمسألة اختزال كليات التربية وخفض ميزانياتها وخفض عدد الملتحقين بها في ظروف يعاني فيه النظام التعليمي بنقض عشرات الألوف من المعلمين المؤهلين في مصر.

وفي القسم السابع من الكتاب يتناول الكاتب صور الفساد في التعليم الجامعي، وبيع القطاع العام والإصلاحات التي تشوه التعليم، وتدفع به نحو الهاوية. فالإصلاح يأخذ مساراً شكلياً يتعلق بالاعتماد الأكاديمي والامتحانات ونظام القبول والكوادر التعليمية ولا يتطرق إلى القضايا الجوهرية للتعليم التي تتعلق بالإنفاق والبنية التحتية والتأهيل. وهذا يعني أن هذه الإصلاحات هي صورة للتزييف التربوي في المجتمع، وهي إصلاحات تتعارض في جوهرها مع الإصلاح التربوي العميق في بنية التعليم وقضاياها الأساسية.

ويتناول عمار في هذا القسم صور الفساد الأصغر في التعليم الجامعي الذي يتمثل في السرقات العلمية، الغش في الامتحانات، الملخصات الخارجية، الوساطة المحسوبية بيع الضمائر، وكتابة رسائل الماجستير، والحصول على الشهادات المزيفة. ثم ينتقل ليحدثنا عن الفساد الأكبر الذي يتعلق بالسرقات الكبرى عن طريق التعهدات في المباني المدرسية وتوريد الكتب والتجهيزات وبيع الأراضي المدرسية، واستخدام النفوذ في عمليات الالتحاق الجامعي، وتسليم المناصب العلمية لمن ليسوا أهلاً لها، وبناء الجامعات الخاصة والترخيص لها وفق عمولات سياسية مالية كبيرة.

ويخصص القسم الثامن للبحث في قضايا التعليم الثانوية ويخوض في نماذج عبثية للثانوية العامة وبدع التطوير والفساد في الثانوي. **وفي النهاية يخصص القسم التاسع والأخير لقضايا البحث العلمي** وإشكالياته في مصر وفي العالم العربي. وفي هذا القسم يتحدث عن إشكالية الموازنة العليمة والإنفاق على البحث العلمي الذي هو في أدنى مستوياته في مصر والعالم العربي عالمياً، كما يتعرض للنصب والاحتيال والتزييف في البحث العلمي، ويفضح مصداقية الأرقام الخادعة في البيانات الرسمية حول التعليم العالي. كما يخصص جانباً من هذا القسم للحديث عن اللغة العربية وأوجاعها وهمومها واحتضارها في مختلف مستويات التعليم العالي والجامعي في مصر كما هي الحال في العالم العربي.

استنتاجات فكرية عامة:

يحرك كتاب عمار أوجاع المربين العرب وهمومهم في هذا العصر المتدفق بالجدة والمغايرة والحداثة. فالأنساق التربوية العربية المعاصرة تتصدع وتتداعى تحت تأثير الصدمات الثقافية والمجتمعية للعولمة. وتأخذ هذه الصدمات المدمرة صورة نسقين من التحديات، يفرض أحدهما نفسه بقوة الاندفاعات الحضارية الزاحفة للعولمة التي تفرضها طبيعة التحولات التكنولوجية والاندفاعات الحضارية للإنسانية في مسار حركتها وتطورها. أما المجموعة الأخرى من الصدمات **فتتمثل في حركة سياسية عنصرية تستهدف التربية**

العربية بوصفها العمق الحضاري الذي يحتضن ثقافة عربية إسلامية تصمد في وجه التذويب الحضاري الذي تواجهه الهوية العربية الإسلامية. ولم تستطع السياسة الأمريكوصهيونية اليوم أن تخفي سعيها إلى تفريغ الثقافة الإسلامية من مضامينها الحضارية، ومن ثم العمل المنظم على هدم مشاعر الانتماء العروبي والإسلامي وبناء مشاعر النقص والقصور والتبعية والاستسلام والخضوع في الشخصية العربية كمقدمة أساسية للسيطرة على مقدرات الشعوب العربية الإسلامية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً. ومن يراقب الساحة السياسية فيما بعد الحادي عشر من سبتمبر سيرى بكل الأدلة التي تفرض نفسها **بأن التربية العربية أصبحت مستهدفة ومستهدفة في العمق والصميم، وسيرى بأن الإدارة العالمية الجديدة تسعى إلى تطبيع التربية العربية وترويضها في السر والعلن بوصفها الحصن الحصين للثقافة العربية الإسلامية والمعقل الأخير لطموحات الإنسان العربي في معركة الوجود والمصير.**

وفي ظل هذه التحولات الكبرى الجديدة يجد النظام التربوي نفسه في مواجهة خطرة مع الآثار الناجمة لهذه التحولات ذات الطابع الكوني. وقد تحتّم على التربويين كما فعل حامد عمار أن يتحسسوا أهمية هذه التغيرات الكونية المذهلة التي تشهدها الحياة التربوية. لقد أدت المعلوماتية الجديدة وثورة التكنولوجيا الاتصالية إلى اهتزاز المركزية التربوية، وسقوط النماذج التربوية التقليدية بصورة مروّعة. وفي ظل هذه التأثيرات التي تفرضها العولمة يجري الاعتقاد بأن الأنظمة التربوية التقليدية قد تختفي كلية على إيقاع هذه التحولات النوعية العميقة، التي تشهدها المعرفة الإنسانية، وتلك التي تفرضها التقنيات التربوية والمعرفية الجديدة في مختلف الميادين.

ويلاحظ المهتمون أن المفكرين العرب **قلما يؤكدون دور الأنساق التربوية في مواجهة المدّ التاريخي والاندفاعات الحضارية للعولمة بتحدياتها المختلفة من جهة وللتحديات الثقافية التطبيعية من جهة أخرى.** وهذا يعني أن البحث في قضايا العولمة ما زال سجين المقاربات الثقافية المحضة ورهين الخطاب الاقتصادي الخاص، ومازالت التربية بما تنطوي عليه من أنساق وفعاليات بعيدة عن حقل البحث والتقصي والرصد والتحليل العلمي، وذلك على الرغم من الأهمية الكبيرة التي تتميز بها التربية في عالم الصراعات والتحديات في عصر صدام الحضارات أو نهاية التاريخ.

فالتربية تشكل عمق الثقافة وجوهر تكوينها وهي تشكل نابضاً للوجود الإنساني وحصناً منيعاً في وجه التحديات الثقافية والتاريخية والاجتماعية التي تفرضها عولمة جارفة طاغية. وهذا يتطلب من المفكرين من مختلف المشارب والتيارات أن يأخذوا بعين الأهمية والاعتبار الدور الثقافي للتربية في إعداد المجتمع للصمود في وجه الاجتياحات التي يبشر بها زمن العولمة.

في مواجهة التحديات:

إن الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ، في نسق هذه المواجهات الخطرة، تكون في إخضاع الأنظمة التربوية العربية للدراسات والأبحاث العلمية النقدية. وفي نسق هذه الأبحاث يترتب على الباحثين أن يشخصوا مواطن القوة والضعف في بنى هذه الأنساق التربوية،

وأن يرسموا حدود وأبعاد المشكلات التي تواجهها والتحديات التي تحيط بها. وعليهم أن يقدموا في نهاية الأمر تصورات علمية واضحة لإستراتيجيات تربوية عربية متقدمة تأخذ في مقدمة اعتباراتها التحولات الجهنمية المرعبة التي يشهدها العالم في مختلف ميادين الوجود بما ينطوي عليه هذا من تخوم وحدود وأنساق.

وهذه النقلة الحضارية النوعية في تاريخ الإنسانية بما تنطوي عليه من إشكاليات وتحديات تضع الباحثين والمفكرين في مواجهة إشكالية مع طبيعة التغيرات التي فرضتها التغيرات الحادثة في مستوى الحياة الاجتماعية برمتها ولاسيما في مجال الأنظمة التربوية القائمة، التي تتعرض لتحولات جوهرية وبنيوية غير مسبوقة على الإطلاق. وفي هذا السياق تأتي محاولتنا هذه لإلقاط الضوء على بعض معالم التغيرات الحادثة في مجال المدرسة والأنظمة التربوية، والكشف عن حجم التحديات التي تواجهها المدرسة بوصفها مؤسسة إنسانية منتجة للمعاني، حيث كانت دائماً البوتقة التي يتشكل فيها الإنسان في حركته الحضارية منذ أقدم الأزمان.

إن الأسئلة المصيرية التي تطرحها هذه المرحلة التاريخية الصعبة بهجماتها وتحدياتها وصراعاتها أكثر من أن تحصى، ولكن السؤال الجامع الذي يفرض نفسه في هذا المقام، هو: كيف يمكن للتربية العربية أن تواكب هذا المدّ الحضاري المذهل؟ وكيف يمكنها أن تمثل روح العصر، وتنطلق بالإنسان العربي والمجتمع نحو آفاق إنسانية حضارية حرة ومعطاءة.

خلاصة عامة:

يتناول حامد عمار في كتابه هذا مختلف الإشكاليات والتحديات التي يواجهها التعليم في مصر وفي العالم العربي. ويشكل هذا الكتاب موسوعة جامعة لمختلف القضايا التربوية الحيوية في مصر في مختلف مستويات التعليم والعمل بصورة عامة يشكل رؤية نقدية لأوضاع التعليم. ولا بأس في القول أن الكتاب يمتلك في ذاته على نظرية متكاملة في النقد التربوي لأوضاع التربية في مصر والعالم العربي.

ويمكن القول في النهاية أن الكاتب المبدع حامد عمار يكشف خفايا العملية التربوية في مصر، ويفضح هذا التواطؤ الكبير بين العولمة الجافة والتعليم. واعتقد جازماً بأن هذا الكتاب يشكل ضرورة تربوية حيوية لجميع هؤلاء الذين يرغبون في فهم أعقد المشكلات التربوي في العالم العربي.

وفي هذا المقام يسرني أن أوجه التحية الكبرى لشيخ الشباب – شيخ المفكرين والنقاد التربويين العرب – الذي ما انفك يقاوم ويناضل بالفكر والعمل والكلمة من أجل تربية أكثر عدلاً وأكثر أنسنة وأكثر إيماناً بالقيم العليا للإنسان والإنسانية في ظل عولمة جارفة متوحشة لا تبقي ولا تذر.

صدر عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية كتاب:

مائة كتاب للأطفال جديرة بالقراءة
دليل الهيئة العالمية لكتب الأطفال - فرع الكويت

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

&

KUBBY

والكتاب نتاج قراءات فاحصة للعديد من الإنتاج الأدبي للطفل، تمت قراءتها ووضع المراحل العمرية المناسبة لها وذلك وفق أسس علمية.

والكتاب أيضاً يمثل نشاط الهيئة العالمية لكتب الأطفال - فرع الكويت (KUBBY)، وذلك خدمة للأطفال وأولياء أمورهم والمعلمين.

صدرعن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الحقيبة الاختبارية
مقياس وكسلر الكويت لذكاء أطفال ما قبل المدرسة والمرحلة الابتدائية

للدكتورة فوزية هادي الدكتور صلاح مراد
جامعة الكويت

تحتوي هذه الحقيبة على كل من:
الدليل النهائي للمقياس، كتيب الصور (1)، كتيب الصور (2)،
علبة المكعبات، وكراس تسجيل الإجابات للفترتين العمريتين
2:9 ـ 3:11 سنوات و4 ـ 7:3 سنوات، وعلبة تجميع الأشياء للصور المتقطعة،
وكتيب الإجابة للاختبار الفرعي "البحث عن الرموز"

سعر الحقيبة الواحدة 200 د.ك (مئتا دينار كويتي)

أنشطة وأخبار
الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

• حضرت الدكتورة / زهرة حسين علي ممثلةً عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية مؤتمر: المجلس الدولي لكتب اليافعين الأول لمنطقة آسيا الوسطى وشمال أفريقيا، تحت شعار: نحو تقارب أكثر بين الطفل والكتاب، الذي عُقد تحت رعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي - عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة - خلال الفترة من 21 – 22 أبريل 2013 بالشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. وقد حضر المؤتمر شخصيات أدبية وثقافية متخصصة في كتاب وثقافة الطفل محلياً وإقليمياً وعالمياً من أكثر من 20 دولة.

اشتمل المؤتمر على حلقات حوارية ثرية ضمت ناشرين ورسامين ومؤلفين، تناولت خبراتهم الخاصة وسبل التغلب على التحديات التي تتعلق بإنتاج الكتاب الرائج الذي يتميز بمواصفات نوعية عالية.

وقد كان المؤتمر فرصة ثمينة للتعرف على تجارب ناجحة في ترويج القراءة والثقافة البناءة بين الأطفال والناشئة، ومناقشة موضوعات وقضايا لا تزال تشغل بال جميع المهتمين بكتب الأطفال واليافعين في المنطقة.

• انتقل إلى رحمة الله في يوم 28/7/2013 المربي الفاضل الأستاذ / سليمان المطوع - عضو الجمعية العمومية بالجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية - وقد عمل المرحوم معلماً في ثانوية الشويخ حتى أصبح ناظراً لها في عام 1960، ومديراً للمعهد العربي للتخطيط (1965 – 1969)، وأول كويتي بدرجة مدير في شركة نفط الكويت مسؤول عن التدريب والتكويت (1969 – 1990)، ثم عضواً بمجلس إدارة الشركة ونائباً للعضو المنتدب للإدارة المالية. وعضواً بمجالس: جامعة الكويت، والخدمة المدنية، وإدارة الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، ووزيراً للتخطيط (1990 – 1991). تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جناته، وألهم آله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

• فقدت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية عضواً من أعضائها المؤسسين، وعضواً بمجلس الأمناء وبهيئة تحرير مجلة الطفولة العربية، بل فقدت الكويت ابناً باراً من أبنائها، برحيل المرحوم الأستاذ / أنور عبد الله النوري عن عالمنا في يوم الجمعة الثاني من أغسطس 2013 الموافق الرابع والعشرين من رمضان 1434 هـ عن عمر يناهز الثانية والسبعين.

وقد كان للمرحوم بصمات واضحة خلال مسيرته العملية المضيئة، بدءاً بإخلاصه لمهنة التعليم، ثم ملحقاً ثقافياً في بريطانيا، ثم أميناً عاماً لجامعة الكويت، مروراً برجل المصارف الأمين، ثم رجل السياسة الحكيم والنزيه؛ حيث تقلد حقائب وزارتي: التربية والتعليم العالي، والصحة، ثم رجل الاستثمار، وأخيراً في مجالات الخدمة العامة والعمل التطوعي.

والجمعية إذ تستذكر إسهامات وتعاون هذا الرجل، تدعو الله العلي القدير أن يجعلها في ميزان حسناته، وأن يتغمده بواسع رحمته، ويجعل الجنة مثواه، وأن يلهم آله وذويه وأصدقاءه الصبر والسلوان.